مفهوم العلم وأهميته للفرد والمجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لله الَّذِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَجَعَلَ الظُّلْمَاتُ وَالنُّورُ، وَفَضْلَ الْعِلْمِ عَلَى الْجَهْلِ:(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الزُّمَرْ: مِنَ الآية9] وَفَّقَهُ مَنْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا فِي دَيْنِ اللهِ فَأَصْبَحَ مِنَ الْعَالِمِينَ الْمُهْتَدِينَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِّيْكَ لَهُ يُمْنٌ بِالْفَضْلِ وَيُمَنِّعُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتُهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَسُولَ اللهِ إِلَى الْأَوَّلِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ والآخرين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَأَصْحَابَهُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَسُلَّمِ تَسْلِيمًا.

أَمَّا بَعْدَ : زَميلَاتِي الْعَزِيزَاتِ

يَقُولُ شَوْقُي " بِالْعِلْمِ وَالْمَالِ يَبْنِي النَّاسُ مُلْكَهُم لَمْ يُبْنَ مُلْكٌ عَلَى جَهْلٍ وإقلالِ.."

الْعِلْمَ هُوَ الْمَادَّةُ الْخَامَ لِبِنَاءِ الشُّعُوبِ، كَمَا أَنَّ الإستغناء عَنِ الْعِلْمِ، يَعْتَبِرُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُدَمِّرَةِ لِلْإِفْرَادِ وَالْحَضَارَاتِ، الْعِلْمَ هُوَ السِّلَاحُ الَّذِي يَمْتَلِكُهُ الْفَرْدُ وَالْمُجْتَمَعُ، فِي مُوَاجَهَةِ الصِّعَابِ وَالْمَخَاطِرِ، الَّتِي تَقِفُ فِي طَرِيقِهِمْ، الْعِلْمَ هُوَ التَّمَدُّنُ وَالتَّطَوُّرُ.

الْعِلْمُ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى الْحَقِّ وَ النُّورُ الَّذِي تَتَبُّعِهِ لِلْوُصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ، هُوَ الطَّرِيقُ الْمُمَهَّدُ لِلْوُصُولِ إِلَى خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

كَمَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ بَوَاسِطَةَ الْعِلْمِ، الْحُصُولَ عَلَى مايريد مِنْ خِلَالَ التَّفْكِيرِ الْعِلْمِيِّ، كَمَا يُمْكِنُهُ مِنْ إِدَارَةِ أَفْكَارِهِ وَمَوَارِدِهِ، لِلْحُصُولِ عَلَى أَكْبَرِ قَدَّرَ مُمْكِنٌ مِنَ الْاِسْتِفَادَةِ.

الْيَوْمُ أَعَرْضٌ عَلَيْكُمْ مَفْهُومَ الْعِلْمِ وَأَهَمِّيَّتِهِ لِلْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ

عَرَّفَ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ الْأَفْكَارُ النَّاتِجَةُ عَنْ دِرَاسَةِ سُلُوكٍ وَشَكْلِ الْأَشْيَاءِ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى الْحُصُولِ عَلَى مَعْرِفَةٍ، وَ الْعِلْمُ هُوَ تَنَاقُضٌ لِلْجَهْلِ، كَمَا أَنَّهُ يَعْنِي الْإِدْرَاكُ وَمَعْرِفَةُ الْأَشْيَاءِ، بِالْهَيْئَةِ الَّتِي عَلَيْهَا، وَ يَحْمِلُ مُعَنَّى الشُّعُورِ وَالْأَثَرِ الَّذِي يَسْتَدِلُّ بِهِ، فَهُوَ يَحْمِلُ مُعَنَّى الْحَقِيقَةِ وَالنُّورِ.

هُنَاكَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ عَرَّفُوا الْعِلْمَ وَمِنْهُمْ، الْعَالَمَ جَوْنَ دِيُوي: قَالَ بِأَنَّ الْعِلْمَ هُوَ " الدِّرَاسَةَ الْمُنَظَّمَةَ الَّتِي تَقَوُّمِ عَلَى مِنْهَجِ وَاضِحَ مُسْتَنَدَ عَلَى الْمَوْضُوعِيَّةِ"، وَ الْعَالَمَ لالاند: عَرَّفَ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ " عِبَارَةً عَنْ مَجْمُوعَةِ الْمَعَارِفِ وَالْأَبْحَاثِ الَّتِي تَتَّصِفُ بِالْوَحْدَةِ وَالضَّبْطِ وَالْمَوْضُوعِيَّةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى نَتَائِجِ مُطْلَقَةِ الصِّحَّةِ، فَهِي لَا تَرْضَيْ أَذْوَاقَ الآخرين وَإِنَّمَا هِي حَقِيقَةُ يَجِبُ الْأَخْذُ بِهِ."

كَمَا يُمْكِنُ أَنْ نُعَرِّفَ الْعِلْمَ بِأَنَّهُ الرِّسَالَاتُ السَّمَاوِيَّةُ الَّتِي نَزَّلَتْ عَلَى الرِّسْلِ، مِنَ اللهِ عِزِّ وَجَلِّ، وَالَّتِي تَحَمُّلِ كُلَّ معاني السُّمُوَّ وَالنُّبْلَ.

يُعَرِّفُ جَمِيعُكُمْ أَنَّ الْعِلْمَ هُوَ أَسَاسُ الْحَيَاةِ الَّتِي نُعَيِّشُ فِيهَا، كَمَا أَنَّ لِلْعِلْمِ فَرَوْعِ كَثِيرَةِ وَمِنْهَا:

أَوَلَا الْعُلُومُ الدُّنْيَوِيَّةُ: وَهِي الْعُلُومُ الَّتِي تَهْتِمُ بِالْأُمُورِ الْمَادِّيَّةِ الْبَحْتَةَ، وَيَهْتَمُّ بشئون الْحَيَاةَ، وَ تَشْمُلُ

- الْعُلُومَ الْفِيزِيَائِيَّةَ: هُوَ الْعِلْمُ الْمُهْتَمُّ بِدِرَاسَةِ الطَّاقَةِ وَكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا، كَمَا تُدَرِّسُ الْحَجْمُ وَالْوَزْنُ وَالْكُتْلَةُ الْخَاصَّةَ لِلْكَوْنِ الْمَادِّيِّ وَالْأَنْظِمَةِ الْغَيْرِ الْحَيَّةَ، عَلَى عَكْسِ الْعُلُومِ الْحَيَوِيَّةِ، كَمَا تَضُمُّ علوماً فَرْعِيَّةً، مِثْلُ عِلْمِ الْفِيزِيَاءِ، عِلْمَ الْحَرَكَةِ، عَلِمَ الدَّيْنَامِيكَا الْحَرَارِيَّةِ، عِلْمَ الكهرومغناطيسي، وَعِلْمَ الْمِيكَانِيكَا.

- الْعُلُومُ الْأَرْضِيَّةُ: وَهِيَ الْعُلُومُ الَّتِي تَهْتِمُ بِدِرَاسَةِ الْأَرْضِ، وَالظَّوَاهِرَ الْخَاصَّةَ بِهَا، وَتَشْمُلُ عِلْمُ الْفَلَكِ، عِلْمَ الْجِيُولُوجِيَا، وَالْأَرْصَادَ الْجَوِّيَّةَ.

- الْعُلُومُ الإجتماعية: وَهِيَ الْعُلُومُ الَّتِي تَهْتِمُ بِدِرَاسَةِ عَلَاَّقَاتِ الْبَشَرِ مَعَ بَعْضُهُمِ الْبَعْضَ، وَتَفْسِيرَ الظَّوَاهِرِ الْبُشْرِيَّةِ، وَتَصَرُّفَاتِهِ، وَيَشْمُلُ عِلْمُ النَّفْسِ وَعِلْمِ الْاِجْتِمَاعِ.

- عِلْمُ الْحَيَاةِ: يَهْتِمُ بِالْعَلَاَّقَاتِ بَيْنَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةَ وَكَذَلِكَ الطَّبِيعَةِ الْخَاصَّةَ بِهَذِهِ الْكَائِنَاتِ، وَ تَشْمُلُ عَلَى عِلْمِ الْحَيَوَانِ، عِلْمَ الْأَحْيَاءِ، وَعِلْمَ النَّبَاتِ.

ثَانِيَا الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ: وَهِيَ الْعُلُومُ الَّتِي تَهْتِمُ بِدِرَاسَةِ الْعَقِيدَةِ وَأَحْكَامِهَا، وَ تَشْمُلُ عَلَى عَلَّمَ الْقُرْآنَ، عِلْمَ الْحَدِيثِ، عِلْمَ التَّفْسِيرِ وَعِلْمِ الْفِقْهِ وَالتَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ.

زَمِيلَاتِي السُّؤَالُ الَّذِي أَوَدِ انَّ أُجِيبُ عَنْهُ هُوَ لَمَّا وَجْدِ الْعِلْمِ وماهي أَهْدَافُهُ؟

قَدْ وَجَدَ الْعِلْمُ لِكَيْ يُحَقِّقَ لِلْإِنْسَانِ السَّعَادَةَ، وَلِلْعِلْمِ أَهْدَافَ كَثِيرَ نَرْصُدُهَا فِي:

- الْوَصْفُ: يَهْدِفُ الْعِلْمُ إِلَى وَصْفِ الظَّوَاهِرِ الَّتِي تَقَعُ فِي الْكَوْنِ وَ مُلَاحِظَتُهَا وَمُتَابَعَتُهَا.
- التَّفْسِيرُ: يَقُومُ الْعِلْمُ بِتَفْسِيرِ وَإِعْطَاءِ الْأَسْبَابِ وَرَاءِ وُقُوعِ الظَّاهِرَةِ.
- الضَّبْطُ: يَهْتَمُّ الْعِلْمُ بِالتَّحَكُّمِ فِي الْعَوَامِلِ الَّتِي تُؤَدِّي لِوُقُوعِ الظَّاهِرَةِ مَحَلَّ الدِّرَاسَةِ.
- التَّنَبُّؤُ: يَهْدِفُ الْعِلْمُ إِلَى التَّنَبُّؤِ مِنْ وُقُوعِ ظَاهِرَةٍ مَا، وَذَلِكَ لِكَيْ يَتَمَكَّنَّ الْمُجْتَمَعُ مِنَ التَّجْهِيزِ اللَّازِمِ لِمُوَاجَهَةِ الظَّاهِرَةِ.

وَقَدْ لَعَبَ الْعِلْمُ دَوْرًا هَامًا فِي حَيَاةِ الْأَفْرَادِ وَالشُّعُوبِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، وَسَنَبْدَأُ عَزِيزَاتِي بِالْحَدِيثِ عَنْ أَهَمِّيَّةِ الْعِلْمِ لِلْفَرْدِ ثُمَّ نَتَنَاوَلُ أَهَمِّيَّةَ الْعِلْمِ لِلْمُجْتَمَعِ.

وَالسُّؤَالُ الَّذِي نَطْرَحُهُ مَا هِي أَهَمِّيَّةُ الْعِلْمِ لِلْفَرْدِ وَلِلْمُجْتَمَعِ؟

أَهَمِّيَّةَ الْعِلْمِ لِلْفَرْدِ:

❖ يَقُولُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ،" كَمْ يَرْفَعُ الْعِلْمُ أشخاصاً إِلَى رُتَبٍ وَيُخَفِّضُ الْجَهْلُ أشرافاً بِلَا أدَبٍ، فَالْعِلْمَ يَعْمَلُ عَلَى رَفْعَةِ الْأَشْخَاصِ إِلَى أَعْلَى الرُّتَبِ."

❖ الْعِلْمَ يَعْمَلُ عَلَى تَهْذِيبِ النُّفُوسِ: فَالْإِنْسَانُ كُلَّمَا اِمْتَلَكَ الْعِلْمُ، كُلَّمَا زَادَتْ أَخْلَاقُهُ، وَذَلِكَ مَنْ خِلَالَ مَا يُعَرِّفُهُ مِنْ عِلْمِهِ.

❖ يُسَاعِدُ الْإِنْسَانُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْحَقِّ: الْعِلْمُ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ لِلْوُصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ، فَالْعِلْمَ يَكْشَفُ ظَاهِرُ الْأَشْيَاءِ وَبَاطِنِهَا.

❖ يَعْمَلُ عَلَى تَحْسِينِ الْمُسْتَوَى الْمَعِيشِيِّ: يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ مِنْ خِلَالَ الْعِلْمِ أَنْ يَصِلَ لِلسَّعَادَةِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، حَيْثُ يُحَقِّقُ مِنْ خِلَالَ الْعِلْمِ الْمَالَ مِنْ خِلَالَ التَّخْطِيطِ الْمُنَاسِبِ.

❖ الْحُصُولُ عَلَى الْوَضْعِ الْاِجْتِمَاعِيِّ الْمُرْتَفِعِ بَيْنَ النَّاسِ: حَيْثُ يَقُولُ الشَّاعِرُ " وَجَامِعَ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا، فَلَا يُحَاذِرُ مِنْهُ الْقُوتِ وَالطَّلَبِ".

أَمَّا أَهَمِّيَّةَ الْعِلْمِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُجْتَمَعِ:

❖ يَسْتَطِيعُ الْعِلْمُ أَنْ يَحُلَّ جَمِيعُ الْمُشْكَلَاتِ الَّتِي تَوَاجُهِهِ: كَمَا يَسْتَطِيعُ تَحْوِيلُهَا إِلَى مَصْدَرِ قُوَّةٍ لَهُ.
❖ فَالْعِلْمُ يُسَاعِدُ فِي التَّخَلُّصِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْبِطَالَةِ: زِيَادَةُ أَعْدَادِ الْمُتَعَلِّمِينَ، يَعْنِي زِيَادَةُ الْعُقُولِ الْبَشَرِيَّةِ الْمُسْتَنِيرَةِ، وَالَّتِي لَدَيْهَا الْحُلُولَ الْجِذْرِيَّةَ لِلْمُشْكَلَاتِ الَّتِي تَوَاجُهِ الْمُجْتَمَعِ، مِثْلُ مُشْكَلَةُ الْبِطَالَةِ وَالْفَقْرِ.
❖ التَّخَلُّصُ مِنَ الْعَادَاتِ السَّيِّئَةِ: يَسْتَطِيعُ الْعِلْمُ مُوَاجِهَةُ الْعَادَاتِ السَّيِّئَةِ الَّتِي يَتَبَنَّاهَا أَعْدَادُ كَبِيرَةُ مَنْ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، وَذَلِكَ مَنْ خِلَالَ الْمُنَاقَشَاتِ الْعِلْمِيَّةِ.
❖ وَكَذَلِكَ إِقْنَاعِ الْأَفْرَادِ بالتخلي عَنْ هَذِهِ الْعَادَاتِ: وَيَقُولُونَ عَلَى الْعِلْمِ " الْعِلْمَ هُوَ التِّرْيَاقُ الْمُضَادُّ لِلتَّسَمُّمِ بِالْجَهْلِ وَالْخُرَافَاتِ. "
❖ الْقَضَاءَ عَلَى الْأَمْرَاضِ: مِنْ خِلَالَ الْعِلْمِ يَسْتَطِيعُ اِكْتِشَافُ وَاِخْتِرَاعُ أَدْوِيَةِ جَدِيدَةٍ لِلْأَمْرَاضِ الَّتِي تَوَاجُهِ الْمُجْتَمَعِ، وبالتالي فَإِنَّ الْمُجْتَمَعَ يُصْبِحُ أَفْرَادُهُ أَقْوَى.
❖ نَهْضَةُ الْمُجْتَمَعِ: الْعِلْمُ يَسْتَطِيعُ بَنَّاءُ الْمُجْتَمَعِ بِكُلِّ جَوَانِبِهِ، مِنْ حَيْثُ الْعِمَارَةِ وَالصِّنَاعَةِ وَالتِّكْنُولُوجِيَا وَالطِّبِّ.

زَميلَاتُي أَعْلَمَنَّ أَنَّ قَوْلَ الرَّسُولِ صِلِ اللهَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " اِطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ " كَانَ يُرِيدُ مَنَّهُ أَنْ يُوضِحَ لَنَا بِأَنَّ مُصَادَرَ الْعِلْمِ مُتَاحَةً فِي كُلِّ وَقْتٍ، كَمَا يَجِبُ أَنْ يَبْحَثَ عَنْهُ الْإِنْسَانَ فِي كُلِّ وَقْتٍ.
كَمَا يُمْكِنُ الْحُصُولُ عَلَى الْعِلْمِ بِشَتَّى الطُّرُقِ، وَيُمْكِنُ اِكْتِسَابُ الْعِلْمِ مِنَ الْمُدَارِسِ وَالْجَامِعَاتِ، وَالْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى التَّعَلُّمِ الذَّاتِيِّ وَالْبَحْثِ عَنِ الْمَعْلُومَاتِ كَمَا يُمْكِنُ الْحُصُولُ عَلَيْهِ، مِنْ خِلَالَ عَمَلِيَّاتِ الْبَحْثِ وَالتَّدَبُّرِ فِي الْكَوْنِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى شَبَكَاتِ التَّوَاصُلِ الإجتماعي.
أَيْضًا قَوْلِ اللهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مَنْ عَلَّقَ."صَدَّقَ اللهُ الْعَظِيمِ.
وَهُنَا يُؤَكِّدُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتُعَالَى عَلَى أَهَمِّيَّةِ الْعِلْمِ، حَيْثُ أَنَّهَا الْآيَةُ الْأُولَى فِي نُزُلِ الْوَحْيِ.
كَمَا أَنَّ الْعِلْمَ هُوَ الْوَسِيلَةُ الْوَحِيدَةُ لِلْوُصُولِ إِلَى اللهِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ لِلْوُصُولِ إِلَى إِثْبَاتِ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ عِزِّ وَجَلِّ.
كَمَا أَنَّ الْإِسْلَامَ يَنْظُرُ إِلَى الْعِلْمِ عَلَى أَنَّهُ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الْخَشِيَّةُ، وَبَعْضَ الصِّفَّاتِ الْجَمِيلَةِ كَالتَّوَاضُعِ.
طَلَّبَ الْعِلْمَ فَرِيضَةً فِي دِينِنَا، حَيْثُ يَقُولُ الرَّسُولُ " طَلَّبَ الْعِلْمَ فَرِيضَةً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ"، صَدَّقَ رَسُولُ اللهِ.
بِالْعِلْمِ يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُؤَدِّيَ عِبَادَاتِ اللهِ بِشَكْلِ صَحِيحٍ، وَهُوَ الطَّرِيقَةُ لِفَهْمِ مُرَادِ اللهِ فِي كَوْنِهِ، وَفِي آياته.

وَفِي الْخِتَامِ أَقُولُ عِلْمَ الْعَلِيمِ وَعَقْلِ الْعَاقِلِ اِخْتَلَفَا مَنْ ذَا الَّذِي مِنْهُمَا قَدْ أَحْرَزَ الشَّرَفَا ؟ فَالْعِلْمَ قَالَ، "أَنَا أَحْرَزَتْ غَايَتُهُ " ، وَالْعَقْلُ قَالَ " أَنَا الرَّحْمَنُ بِي عُرْفَا".
فَأَفْصَحَ الْعِلْمُ إِفْصَاحًا وَقَالَ لَهُ، بِأَيِّنَا اللهَ فِي فُرْقَانِهِ اِتَّصَفَا ؟ فَبَانٍ لِلْعَقْلِ أَنَّ الْعِلْمَ سَيِّدَهُ فَقَبَّلَ الْعَقْلُ رَأْسَ الْعِلْمِ وَاِنْصَرَفَا.
فَالْعِلْمُ هُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيَا لَهُ مَنْ شَرَفٍ.
لِقَدَّ اِنْتَهَتْ خُطْبَتُي لَكُمْ زَميلَاتُي، وَلَكِنَّ الْأَفْكَارَ لَمْ تَنْتَهِ بَعْدَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ وَفَّقَتْ فِي عَرَّضَ هَذَا الْمَوْضُوعِ الْحَيَوِيِّ والهام، وَإِلَى لِقَاءٍ قَرِيبَ بِإِذْنِ اللهِ.

وَالسُّلَّامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.